دراسة تكشف إبداعه الشعري والروائي

شاعر السيرة الهلالية جابر أبو حسين يقدم مونودراما (الممثل الواحد) قبل ظهورها في المسرح المصري

القاهرة/ متابعات:

جابر أبو حسين .. من أشهر شعراء السيرة الهلالية في العالم العربي، كان موهوبا لديه القدرة على أن يحفظ مليون بيت شعر من القصيدة، بدأ الناس التعرف عليه أكثر حين قدمه الشاعر عبدالرحمن الأبنودي في الإذاعة ليقص شيئا من السيرة الهلالية، كما أن أحد الباحثين الأميركيين، وهو جون رينولدز، سجل له مئات من الساعات للسيرة.

ولد جابر عام 1913 بقرية أبار الوقف، مركز أخميم بمحافظة سوهاج.

وأقام على فترات بقرية الكوم الأصفر لدى عائلة المعاتيق، وأقام هناك العديد من الحفلات وهو من كبار مؤلفي السيرة الهلالية. وقد ظهر في السبعينيات من القرن الماضي، عندما أخذ يقص علينا السيرة الهلالية.. والسيد الضوي، ولن يستطيع أحد أن ينسى مقولة الأبنودي الشهيرة (قول يا عم جابر)، فقد كان شاعرا وروائيا ومؤديا للسيرة، من خلال ممارسته الطويلة، وتعمقه في مواقفها، وغوصه في معانيها النفسية، من خلال تقمصه لشخوص السيرة.. لذلك سيظل جابر أبو حسين علامة مميزة في تاريخ الإذاعة المصرية والسيرة الهلالية.

أعظم رواة السيرة

ويعتبر جابر أبو حسين – كشاعر شعبي – من أعظم رواة السيرة الهلالية، فهو يقدم دراما شعبية أو مونودراما (الممثل الواحد) قبل ظهور هذا الشكل في المسرح المصري، وهو راو يقدم تصويرا فنيا للأحداث، وعند أدائه للسيرة يقوم بتطويع صوته وفقا لمتطلبات التعبير عن طريق الأداء الصوتي المتنوع.

ذلك هو مدخلنا لكتاب(جابر أبو حسين شاعر الهلالية) الملقب بـ (هوميروس العرب)، الصادر عن موسوعة سوهاج التراثية، للشاعر والمخرج والباحث أحمد الليثي وشاركه في الإعداد محمد عبد الرحمن. يقع الكتاب في ثلاثمائة وخمس وأربعين صفحة من الحجم الكبير، ويعد إضافة كبيرة في مجال السيرة الشعبية، وخصوصا السيرة الهلالية، فهي من أهم السير الشعبية التي عرفها موروثنا الشعبي، والدليل على ذلك استمرارية هذه السيرة في التداول والتناقل عبر الأجيال حتى يومنا هذا.

وقد بذل الباحث جهدا كبيرا؛ من أجل إنجاز وتوثيق هذا الموروث الشعبي الكبير، وتسجيله من رواته الأصليين، من خلال جولات ميدانية عبر قرى ونجوع محافظة سوهاج. ومن كل المشاهدات والملاحظات التي تثبت مدى تغلغل السيرة الهلالية في كل شرائح المجتمع السوهاجي من مثقفين إلى عوام الناس، فمنهم من يستطيع أن يروي لك سيرة (بني هلال) وغيرها من السير كـ (سيرة الزير سالم)، على نمط الحكم الشعبي.

ومنهم من يحترف رواياتها وأداءها شعرا ونثرا بغرض كسب العيش، ومنهم من يقوم بروايتها على ربابته التي يحتضنها تحت إبطه أينما ذهب، قريبة من قلبه كأعز ما يملك، يحملها كمن يحمل سلاحه الوحيد، يجوب بها القرى والنجوع والمسالك والدروب، يروي لجموع الناس سيرته المعشوقة التي تربط بينه وبينهم، وهم يحوطونه بالحرارة والدفء ويؤازرونه ويدعمونه بصيحات الاستحسان والقبول، حيث إنهم يحتفظون بها رسوما شعبية اعتزازا بأبطالها، ويعلقونها على جدار دورهم، ويدقون وشما على أيديهم وصدروهم ليحتفظوا بها مدة طويلة، إعلانا لمدى الرجولة والفحولة والشهامة.

ومنهم من يحتفظ داخل (خزانته الطينية) بالكتب القديمة الصفراء والحمراء، التي ورثها عن آبائه وأجداده، والتي سوف يورثها لأبنائه وأحفاده، فهي مليئة بأخبار السير العربية والحروب الهلالية، ومنها ما هو منسوخ بخط اليد ويعتبر مخطوطا نادرا لقدمه وعراقته، ومنها ما هو نتاج المطابع القديمة في بداية دخولها إلى مصر كـ (سيرة العرب الحجازية – الريادة البهية – تغريبة بني هلال – سيرة بني هلال).

والسير الشعبية عنصر من عناصر الأدب الشعبي، والذي هو بدوره نوع من أجناس الفنون الشعبية، أو ما يطلق عليه مصطلح (الفلكلور)، وهو من إبداع الجماعة الشعبية.

نشأة جابر أبو حسين

قسم الباحث كتابه إلى خمسة فصول، الفصل الأول: ويشمل نشأة جابر أبو حسين، ورحلة المواليد والتغريبة، وشاعريته وارتحاله في الليلة الهلالية، والفصل الثاني: ويشمل السيرة الهلالية في مصر وسوهاج، والفصل الثالث: يتحدث عن أثر جابر أبو حسين في شعراء السير، الفصل الرابع: ويتحدث عن السيرة الهلالية ولغتها وملحمتها وأسطوريتها، الفصل الخامس: ويتحدث عن الفنون الشعبية في صعيد مصر، ويشمل فن الواو، وملاحق الرواة والصور.

ولد جابر أبو حسين لأبوين مصريين، واسمه الحقيقي جابر حسين أحمد آدم، وشهرته (جابر أبو حسين)، التي أطلقها عليها عبدالرحمن الأبنودي. وكان مفتونا منذ صغره بالغناء الشعبي، وكان يواظب على الحضور بين يدي شيخ (الكتاب) حتى سن عشر سنوات، وحفظ القرآن الكريم وبعض الألفيات القديمة، التي كانت تتلى عليهم في كتاب القرية، وكان يعشق المديح النبوي، ويحضر مع المنشدين في ليالي القرية ومجاوراتها ليردد وراءهم ما يقولون من ابتهالات وتواشيح، حتى لفت الانتباه صوته العذب الجميل وذاكرته القوية في الحفظ، وكان يعجب به مداحو القرى ويصطحبونه معهم في الليالي والموالد. رحلة التغريبة والريادة.

إلى أن أحس ابن عمه ويدعى (أحمد بخيت)، أن جابر بدأ يسلك مسالك القوالين، أو الشعراء كما يسمونهم في الصعيد، وهم جماعة يعزفون على آلة الربابة، ويجوبون البلاد يغنون قصص السيرة الهلالية ليكتسبوا بها لقمة العيش، أنذره ابن عمه بأن يترك المشي وراء هؤلاء الناس، ويلتفت إلى حياته إلا أن جابر أصر على ما نوى عليه، وعقد العزم على المضي في

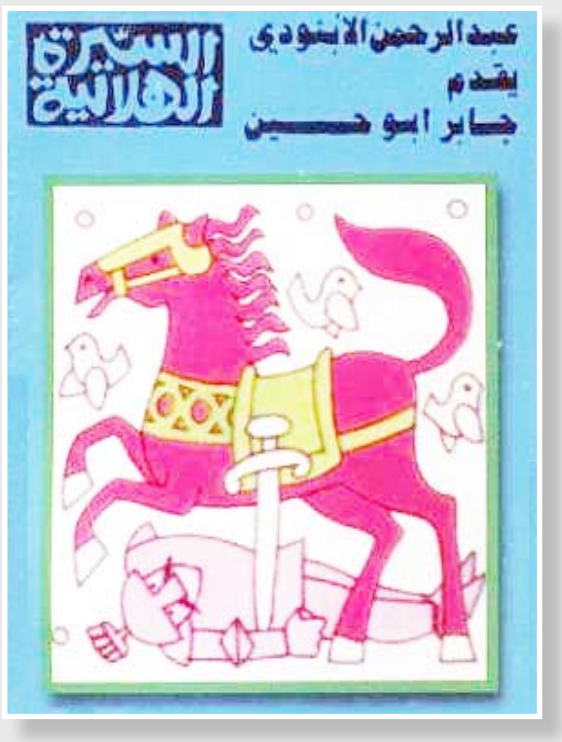

نفس الطريق، وزادت المضايقات، وكان قد بلغ من العمر 16 عاما، فترك القرية وتوجه إلى الإسكندرية، وعمل بأحد الأفران ليوفر لنفسه مقومات الحياة والمعيشة في غربته.

الشاعر الجوال

وبدأ جابر يتردد على المقاهي التي يوجد بها الشاعر الشعبي الذي يروي السيرة الهلالية أو غيرها بواسطة كتاب يقرأ منه على الناس، وكان يدعى الشيخ (محمد الطباخ)، وهو من المداحين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث إنهم يجيدون الاستهلال الديني الذي حفظوا مادته من الأذكار والأوراد والقصائد العربية الشهيرة في المديح النبوي الشريف.

وحذا حذوهم جابر أبو حسين في استهلاله للسيرة فانظر إليه، وهو يقول: (أصلي على النبي الهادي/ خد النبي نادي/ أنا قصدي ومرادي/ أشاهد ولد عدنان/ صلاتي على النبي العربي/ طه عالي النسب/ مرادي ومقصدي وطلبي/ أشاهد صفوة الرحمن).

وكانت رحلة جابر أبو حسين بمثابة (الريادة) في طريق السيرة الهلالية، فقد استمع وتعلم وعرف واستطاع أن يزود نفسه بالعلم عن رحلة الهلالية في رحيلهم من الجزيرة العربية، قاصدين تونس الخضراء، مارين بمصر وصعيدها، والتي تركوا بها أنسابا وجذورا لبني هلال، ولا تزال تعرف حتى الآن في بلاد الصعيد.

وكانت رحلة الإسكندرية فرصة جيدة للتعلم الفني في الأداء والغناء على يد أهل الخبرة والدراية لسنين طويلة، حتى استطاع أن يحفظ السيرة بأكملها من الألف إلى الياء، واستوعبها فصلا فصلا، وقصة قصة، واختزنها في مخيلته وذاكرته المتقدة، حيث تعلم فن الأداء والمقامات اللحنية على يد المشايخ الذين يجيدون فن التجويد في الأداء الصوتي، والتلوين لحفظهم القرآن الكريم وقراءته، وحفظهم للشعر العربي القديم، ومعرفتهم بفنون التدريب الصوتي.

أبوحسين والأبنودي تجربة ثرية

وعاد جابر أبو حسين إلى آبار الوقف بأخميم، بعد أن مكث في الإسكندرية خمسة عشر عاما، خبر فيها السيرة كاملة، محملا بموروث الوجه البحري شكلا ومضمونا، مدونا للسيرة الهلالية، عاقد العزم على المضي قدما في نفس الاتجاه، ولكن بما يتفق وطباع أهل الصعيد بلغاتهم ولهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وموروثاتهم.

وعكف على تحويل ما حفظه إلى مربعات شعرية على غرار "فن الواو"، واستمر يؤدي فنه وعلا شأنه في سائر محافظات وسط وجنوب الصعيد، وكان استشهاد ابنه عبدالعظيم في حرب أكتوبر المجيد محطة مهمة في حياته.

ويروى أنه أحيا ليلة، وكان الجرح لا يزال باقيا لم يندمل بعد، أبكى فيها جميع الحاضرين، وتكاد تلمح الحزن والأسى في أدائه، وهو يتمثل غربته واستشهاد ابنه، وهما محطتان مهمتان في تكوين شخصيته، وتأثيرهما على إبداعه وأدائه العبقري الذي يقترب من أداء أغاني العديد والحجيج في بلاد الصعيد، حيث استوعبه من كثرة جولاته وارتحاله ومعرفته بالبلدان والناس وغوصه في أعماقهم وقدرته على هضم فنون هذه المناطق.

وكان الرجل يتميز بأذن حساسة جدا، وأنه طبيعة شفافة عالية تصل به في بعض الأحيان إلى حد التصوف.

دور الأبنودي

واستمر جابر في مشواره وعطائه الفني حتى عام 1977 إلى أن حضر إلى (آبار الوقف) الشاعر عبد الرحمن الأبنودي وضيفان من الأجانب الذين يدرسون السيرة الهلالية في مصر، واصطحبوا معهم العمدة، وكان له تأثير قوي على جابر ليقنعه ليذهب معهم إلى القاهرة ليسجل الهلالية في الإذاعة قبل أن يموت وتموت معه السيرة، فرفض كما رفض من قبل حين عرض عليه (زكريا الحجاوي)، نفس العرض في الستينيات.

ومع ضغط العمدة، وتحمس الأبنودي كشاعر معروف ومحبوب، ومكث الأبنودي وعطيات الأبنودي (بآبار الوقف) لمدة ثلاثة أشهر يسجلون السيرة الهلالية بأكملها من جابر أبو حسين، واستطاع الأبنودي بذلك الصنع أن يحتفظ للأدب الشعبي في مصر بسيرة شعبية صعيدية لمبدع شعبي صعيدي، حيث استطاع جابر أن يضمن نصوص السيرة كل معطيات وإبداعات من (درر التراث الشعبي) في صعيد مصر، ومفرداته وألفاظه، وصوره وخيالاته، وأمثاله وحكمه، أغانيه وحكاياته، والتي استوحى منها مقاماته اللحنية، وتراكيبه اللفظية الموسيقية البسيطة. وظلت الهلالية تذاع بصوت جابر، حيث أصبحت مصر كلها وكأنها قرية واحدة، وسامر شعبي واحد حول الإذاعة المصرية إذاعة الشعب في تمام الساعة السادسة والنصف من كل يوم.

صوت جابر

وبعد ذلك بدأت أشرطة التسجيل تغمر سوق الفن في مصر بصوت جابر أبو حسين شاعر الهلالية، وقام الأبنودي بنشر نصوص السيرة لجابر وغيره من شعراء الصعيد في خمسة كتب (بأخبار اليوم)، وهي تحوي الرحلة الأولى للسيرة الهلالية، هي رحلة المواليد، ولا يزال الأبنودي يحتفظ ببقية السيرة التي سجلها بأكملها من جابر أبو حسين، وهي رحلة اليرادة، التغريبة، الدواوين، الأيتام.

ورحل جابر أبو حسين عن عالمنا عالم 1997، وتوفي في بلدته ودفن بمقابر عائلته، وترك للحياة الشعبية إرثا عظيما وملحمة عربية تفوق كل ملاحم المدنيات الأخرى. رحل جابر أبو حسين وترك لنا السيرة الهلالية بصوته تعيش معنا حتى يومنا هذا، فلو رفض وأصر على رفض تسجيلها ما تم تخليدها، فهما من أجمل ما ترك أبو حسين، وهنيئا للأبنودي بها، فهي محطة يعتبرها من أهم محطات حياته التي حقق فيها النجاحات الكثيرة.

وكالة الصحافة العربية

حديث مع الفنان محمد سعيد منصر

خالد سيف سعيد

في الثالث من ديسمبر عام 1964م أجرى مندوب الصفحة الفنية بصحيفة الأخبار الصحفي محمد شفيق حديثاً صحفياً مع الفنان محمد سعيد منصر، تحدث فيه الفنان عن أعماله الفنية وكان الحديث ما يلي:

ما هي آخر أغنية سنسمعها لك؟

أغنية من نوع جديد تدخل فيها ثلاثة مقاطع من ثلاث أغنيات معروفة، تأتي بهذه الطريقة:

بالحزن والشوق والليل الطويل
والسجن والسهد والدمعة تسيل
خلوني أكتب لك جواب فيه حنين
وفيه عتاب
وفيه حب شرحه طويل
وكأنني أشتي أقول
غيروك الناس عني
ليش بالله غيروك
أيش لهم منك ومني
ليش يشتوا يبعدوك

وأنت ترى المقطع الأخير هو من أغنية (غيروك) للفنان محمد سعد عبدالله وسوف يكون أدائي للمقاطع الثلاثة في أغنية، مجرد أداء لا تصحبه موسيقى.

هل تعزف على بعض الآلات الموسيقية؟

أعزف على العود والكمان والطبلة الغربية.

لماذا لا تعزف أغانيك بنفسك؟

أفضل الغناء أمام الميكرفون دون على أية آلة.

هل لك محاولات في التلحين؟

في الحقيقة التلحين موهبة، وليس كل واحد يستطيع أن يلحن لنفسه.

ما هو دخلك من الفن؟

الفن عندي هواية واستلم أي مقابل من الأغاني التي أغنيها.

وعندما تغني للإذاعة أو الحفلات هل تغني بالمجان؟

من عادتي أنني عندما أغني للمطرب لأول مرة أتنازل له عن الثمن الذي تدفعه الإذاعة أو الحفلات.

هل غنيت لمحمد مرشد ناجي؟

غنيت له في حفلته الأخيرة أغنية "أنا فكرت أتوب منك".

هل درست الموسيقى في القاهرة عند وجودك هناك للدراسة ثلاث سنوات؟

كنت أرغب في دراسة الموسيقى، ولكن لم تسمح الظروف بتحقيق هذه الرغبة.

ما هي الأغنية التي تمنيت لو كنت أنت الذي غنيتها؟

أغنية "أرجع لي ثاني" للفنان أحمد قاسم، وأغنية "أنا أقدر أنساك" لمحمد سعد عبدالله.

ما رأيك في مستوى الأغنية المحلية الآن (آنذاك)؟

مستواها ارتفع بنسبة ملحوظة، فأنت تلاحظ أن أغاني المرشدي بدأت تتميز بطابع التجديد، وكذلك أحمد قاسم الذي قدم لنا بعض الأغاني المحلية الجديدة، كما أننا نلاحظ أن إقبال شركات الأسطوانات في لبنان والسعودية على تسجيل بعض أغانينا المحلية قد ساعد على إبراز بعض الأغاني القديمة في طابع مجدد مثل الأغاني الحضرمية التي سجلها الفنان ابوبكر سالم بلفقيه.

ونحن إذا اتجهنا إلى تطوير ما عندنا من التراث الغنائي القديم لأمكننا أن نغزو بفننا بلدان الغرب، وليس بلدان الشرق، وحسب لا نستغرب فقد سطا بالأمس الغرب على أغاني الشرق وصدرها لنا بعد أن أضفى عليها بعض التجديد لنسمعها في تعال، جعلنا نعجب له، بينما هذه الأغاني مأخوذة من الشرق مثل (حاجي بابا) و(شيش كباب) و(فطومة) وغيرها.

نجوم بوليوود

أسطورة عالم بوليود أميتاب باتشان

اشتهر بلقب الشاب الغاضب
الاسم بالكامل: اميتاب هاريفانش راي باتشان
البلد: الهند
لون الشعر: أسود
لون العين: بني
تاريخ الميلاد: 11 / 10 /1942م
الأب: هاريفانش راي باتشان
الأم: تيجا باتشان
الزوجة: جايا باتشان
الابنة: شويتا ناندا
الابن: ابهشيك باتشان

ولد اميتاب في 11 أكتوبر عام 1942 في مدينة الله أباد أبوه أديب وشاعر وأستاذ جامعي بجامعة حيدر أباد وأمه تيجي بتشان لعبت دورا مهماً في طفولته الهادئة وساعدت على تنمية مواهبه من خلال العزف على الآلات الموسيقية وخاصة الجيتار وحينما جاءت تقديراته في نهاية دراسته الجامعية 1962 مخيبة للآمال فكر والده في إلحاقه بالقوات الجوية حتى يمكن له الاعتماد على النفس، ولكنه في آخر لحظة قرر السفر لمدينة كلكتا لاختبار وجوه جديدة للسينما - وعمل ككومبارس في استعراض موسيقي غنائي 1963 قبل أن تأتيه فرصته الأولى على يد المخرج خواجه أحمد عباس في فيلم (الهنود السبعة) 1969 الذي لم يحقق النجاح المنشود - ثم بعد أدوار في عدة أفلام جاءته الشهرة في فيلم (القيد) ثم كان انتشاره ونجاحه في أفلام حققت إيرادات كبيرة - مثل (كولي - أو الحمال) والعيش والملح.

وقد بدأت علاقته العاطفية مع الممثلة جايا بهادوري التي انتهت بالزواج 1973 بعد أن اشتركا في أكثر من فيلم - ورغم ماحققته من شهرة فقد آثرت جايا أن تعتزل وهي في قمة مجدها لرعاية زوجها وابنها ابيشيك وابنتها شويتا ومن المعروف عن الأسطورة اميتاب انه يقوم بمعظم المشاهد الخطرة بنفسه ولذلك أثناء احد مشاهد الاكشن في فيلمه الشهير جدا كولي (الحمال) أصيب إصابة خطيرة وكاد أن يفقد حياته وصلى جمهوره العريض داخل الهند وخارجها لله لكي ينقذ اميتاب من الإصابة .

ولقد حصل اميتاب باتشان على جوائز عديدة، منها أربع جوائز سينمائية عالمية من ضمنها ثلاث جوائز كأفضل ممثل، كما حصل على 13 جائزة محلية في الهند (Filmfare Awards)، ويحمل اميتاب باتشان الرقم القياسي في عدد الترشيحات لجائزة Filmfare Awards كأفضل ممثل.

وبالإضافة لعمله كممثل عمل أيضاً مغنياً ومنتج أفلام ومذيعاً، ولقد تم انتخابه في البرلمان الهندي من عام 1984 حتى عام 1987م.